الأسلوب النقدي في نهج البلاغة دراسة في ضوء اللسانيات النفسية

م.د. صادق علي خليل الزبيدي
Sa_7814@yahoo.com
جامعة ديالى/ كلية التربية المقداد

الملخص

تناول البحث الاسلوب النقدي في كتاب نهج البلاغة –لجامعه الشريف الرضي (ت ٤٠٦)– في ضوء دراسة لسانية نفسية، تركز على سبب استعمال هذا الأسلوب، وكيفية توظيف اللغة للتعبير عن المواقف النفسية، والإشارات الوجدانية في كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ودراسة هذه الظاهرة الكلامية التي يوجه فيها الإمام نقده للأخر سواء أكان مفردا أم جماعة، وقد اشتمل هذا الخطاب النقدي على نعوت شديدة ، وصفات حادة، يمكن أن تكون ضرباً من الطرد، ونوعا من الانزعاج وعدم الرضا عن المخاطب، وهي تشكل ظاهرة لغوية، تكون فيها الكلمات متخيرة دقيقة، وتصدر عنها تراكيب هادرة دفاقة بعمق المعنى وقوة الأسلوب، ويظهر فيه عنصرا التأثير والتأثر، ولعل من اسباب هذا الأسلوب هو التربية على القيم الدينية والاخلاقية والانسانية، والمحافظة على ثوابت الإسلام، وحماية المجتمع من الإنحراف والضياع، وهذا ما تناوله هذا البحث ليسلط الضوء على انتاج لغة ملئية بالمواقف النفسية، غنية بعواطف وإيحاءات وجدانية .

الكلمات المفتاحية : اللسانيات النفسية، الاسلوب النقدي، نهج البلاغة، تحليل الشخصية.

Research title: The critical method in Nahj al-Balagha، a study in the light of psycholinguistics

Researcher name: M. D. Sadeq Ali Khaleel Al-Zubaidi
Diyala University/Al-Miqdad College of Education

Abstract

The research dealt with the critical method in the book Nahj al-Balagha - by Al-Sharif Al-Radi University (d. 406) - in the light of a psychological linguistic study، focusing on the reason for using this method، and how to employ language to express psychological positions، and emotional signs in the words of the Commander of the Faithful، Ali bin Abi Talib، peace be upon him. And a study of this verbal

phenomenon in which the imam directs his criticism to others، whether individually or in a group This critical discourse included severe epithets and harsh adjectives، which could be a form of expulsion، and a kind of annoyance and dissatisfaction with the addressee. It constitutes a linguistic phenomenon، in which the words are chosen and precise، and from them emerge rumbling، flowing structures with depth of meaning and strength of style، and it appears in it. The elements of influence and influence، and perhaps one of the reasons for this method is education on religious، moral and human values، preserving the principles of Islam، and protecting society from deviation and loss، and this is what this research addressed in order to shed light on the production of a language full of psychological situations، rich with emotions and sentimental overtones.

Keywords: critical method، rhetoric approach، psycholinguistics، personality analysis.

المقدمة :

يستعمل منشئ الكلام أسلوباً يعلنُ فيه عن مقاصده، ويميز فيه معانيه حتى يصبح ذلك الأسلوب علامة تعبيرية بارزة لهذا المنشئ، وبصمة كلامية تحمل إشارات نفسية متعددة، تنتشر في فضاءات النص.

وتتباين الأساليب الكلامية، وتتعدد الخطابات تبعاً لمنشئها وموضوعها وغرضها ؛ فلكل أسلوب عناصره التي تميزه عن غيره،وترسم انزياحاته المتعددة .

وقد يتضمن الخطاب نقدا كلامياً حاداً، تستعمل فيه مفردات وتراكيب ذات دلالات واضحة، يوجه لأفراد أو جماعات، أو ظواهر و توجّهات، يعبِّر فيه المتكلم عن مواقفه النفسية التي تحمل طابع النقد والذم وعدم الرضا، ويغلب على هذا الأسلوب الكلامي مسحة الردع والمواجهة والقوة، وتتلمس فيه اللفظ الشديد، فيصبح ظاهرة كلامية تستحق الدراسة وهذا ما نجده في كلام أمير المؤمين علي بن أبي طالب عليه السلام في مواضع معينة ذكر فيها شخصيات، أو وصف جماعات، أو تحدث عن سلوكيات أو ظواهر في المجتمع بكلام يظهر فيه النقد اللاذع جلياً للمتلقي .

وقد أخترت هذا البحث للوقوف عند هذه الظاهرة وقد قسمته على تمهيد ومبحثين،

تناول التمهيد التعريف بالمفاهيم (اللسانيات النفسية، الأسلوب النقدي)، وسلط المبحث الأول وكان بعنوان (المبحث الثاني : اللسانيات النفسية وأسلوب نقد الأفراد) أما المبحث الثاني فعنوانه : (اللسانيات النفسية وأسلوب نقد الجماعة)، ثم ختم البحث بجملة من النتائج منها .

التمهيد :

الاسلوب النقدي :

الأسلوبُ كما يقدَّمهُ اللسانيونَ مجموعةٌ من خياراتِ المترادفاتِ والقيمِ التعبيريةِ، يختارُ المتكلمُ منها ما يناسبُ أدواتِه وحالتَهُ النفسيةَ، وشروطَ الموقفِ وظرفَ السياقِ ، فاذا أردنا أنْ نوصلَ رفضَنا لشيءٍ أو لتصرفٍ ما، نقول في العربية مثلاً : (أعتذر، ليسَ بمقدوري، لا استطيعُ، دعني وشأني)، وإنَّ الاختيارَ من بينِ هذهِ الخياراتِ وغيرِها، وبحسبِ إبداعِ المتكلمِ ووعيِهِ، يشكّلُ في النهايةِ انزياحاً بينَ معطياتِ اللسانِ وتحققِها الشخصي من المتكلمِ أثناءَ الحديثِ وهذا هو الاسلوبُ؛ لأنَّ المتكلمَ يُعرفُ بسماتِهِ الأسلوبيةِ المميزةِ؛ لأنَه يضفي شخصيتَه على نتاجِه الكلامي (١)ويختلف المتكلمون في أساليبهم ويتباين بعضهم على بعض في طريقة التعبير، وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الاسلوب يَشحنُ الوحدةَ الدلاليةَ بالمعنى فيتحولُ بها إلى مفهومٍ عاطفيٍ، أو جمالي ؛ فلا يبقيها – إلى حدٍ ما – في حدودِ عبارةِ البنيةِ اللغويةِ التي لها، وذلكَ من خلالِ تمثلِها التعبيري الذي لا يؤثرُ في معناها (٢)

فالأسلوب طريقة للتعبير يعتمد على نظام لغوي معين، وهو ازياحٌ كلامي، ويرتكز على أدواتٍ كلاميةٍ يستعملها المنشئ ليوصل المقاصد، ويرسل المعاني،

ومن أنواع الأسلوبية الأسلوبية التعبيرية وعُرفت بأسلوبيةِ (بالي Charles Bally) وقد عرَّفها بوصفها تدرسُ وقائعَ التعبيرِ اللغوي من ناحيةِ مضامينِها الوجدانيةِ العاطفيةِ، وهي تهدفُ الى دراسةِ القيمِ التعبيريةِ اللغويةِ الكامنةِ في الكلامِ أو المثارةِ فيهِ، وهي تقفُ أمامَ الكلامِ لتلاحظَ العلاقةَ القائمةَ بين المحتوى الوجداني (المضمونِ العاطفي) والتركيبِ الذي جاءَ عليه الكلامُ، ومن اهتماماتها دراسة الجانبِ العاطفي ولميكن اهتمامها بالجانبِ الجمالي، وهي اسلوبيةٌ تعبيريةٌ وصفيةٌ [٣] .

ومن معاني النقد في اللغة، نقدت الدراهم أذا أخرجت الزائف منها . [٤] و نَقَد الكلام ناقشه، و هو من نقدة الشعر و نقاده. [٥] فانتقد زيد الشعر أو النثر أو غيرهما. اي أظهر عيبه . [٦] فالنقد للكلام تمحيص وأخراج الزائف منه، والنقد للمواقف والجماعة بيان سلبياتها وعيوبها، والخطاب النقدي الخطاب الذي يبين مساوئ الآخرين وعيوبهم وصفاتهم السلبية .

فالأسلوب النقدي الطريقة الكلامية التي يتبعها المتكلم في توجيه نقد للمخاطب سواء أكان المخاطب فرداً أو جماعة، باستعمال تعبيرات كلامية معينة تميزه عن غيره، وتجعله أسلوباً يتميز به صاحبه، وله أشكاله، ومفرداته، وأغراضه، ومقاصده .

اللسانيات النفسية :

يهتمُ اللغويون وعلماءُ النفسِ في مسالة مفادها البحث في كيفيةِ تركيبِ اللغةِ سواءً عند إنتاجِها أو عندَ استقبالِها . ويتجلَّى الارتباطُ ويظهرُ بينَ علمِ اللغة وعلمِ النفسِ في أن بعض أعمالِ اللغويينَ تعتمدُ اعتماداً كبيراً على علمِ النفسِ، لذا فإنّ العلاقةَ بينَ علمِ اللغةِ وعلمِ النفسِ علاقةٌ مهمةٌ لدرجةِ نشوءِ فرعٍ جديد يسمى بـ (اللغويات النفسية)، [٧].

وإنَّ اللغةَ قبل أن تكون ظاهرة اجتماعية. هي حادثة نفسية، أو حاجة نفسية، تتمثل في إفراز من إفرازات الذات، يكتسب بعداً روحياً ذوقياً يتخذ طابع المثير والاستجابة، ويظل الأثر النفسي ملازما للمفرز اللغوي إلى أن يصير معنى في عرف السامع وتحليله، ومن ثم فانه يفرض نفسه أبان التحليل الدلالي للحدث اللغوي [٨]

وعلمُ اللغةِ علمٌ يدرسُ اللغةَ الانسانيةَ دراسةً علميةً من جميعِ جوانبها الصوتيةِ، والصرفيةِ ، والنحويةِ، والدلاليةِ ، والاسلوبيةِ، والتداوليةِ ، والثقافيةِ ، وما يتعلق بهذه الجوانب من النواحي : الاجتماعيةِ، والثقافيةِ ، والنفسيةِ، والعقليةِ وغيرِها [٩]،

وإن اللسانيات النفسية دراسة علمية تحليلية للغة ؛ فهي تنتقي التأويلَ المفضّلَ وتختارُ من خلالِ وزنِ الاحتمالاتِ، واختيارِ الملائمِ منها . [١٠] من خلال الوقوف على نظام اللغة وكيفية انتاج الكلام، وأشكاله التي تنبئ عن شخصية المنشئ ودرجة إدراكه، ومستواه المعرفي، وموقفه الوجداني، ومن خلال هذا التحليل نستطيع أن ندرس اللغة لتكون طريقاً لمعرفة الإنسان وطريقه تفكيره، والولوج الى مشاعره ووجدانه وأحاسيسه

المبحث الأول: اللسانيات النفسية واسلوب نقد الأفراد

إنَّ استعمال منشئ الكلام للغة هو استعمال يدل في بنيته الكلامية على طريقة توظيف المنشئ للغة وفهمه لطبيعتها، كما يدل على مرونة اللغة في التعبير عن مرادات المتكلم وعلى طريقته في عرض أفكاره ومعتقداته وآراءه المختلفة، لذا فهو مختار لتلك الطريقة الكلامية وقاصد لمعاني كلامه من جهة، وهو أحد مستعملي اللغة التي ستحكمه بنظامها المتجذر في أصل خلقة الانسان وفي أصول ذلك النظام وقواعده الكاشفة عن شخصية المنشئ ومقاصده.

وقد يستعمل المتكلم أسلوباً كلامياً يوجه فيه نقداً لشخصية ما، باستعمال مفردات وصيغ وتراكيب، وقد يكون هذا النقد أحياناً حاداً أو شديداً في ألفاظه وفي معانيه، وقد تجلى هذا النوع في الخطاب العلوي، فقد وجه الإمام عليه السلام لبعض الشخصيات في بعض المواضع كلاماً ظاهره الشدة والحزم والقوة في التعبير، وهو يؤشر ظاهرة لغوية في كلامه الذي يعد مصدراً ومصداقاً مميزاً في كيفية استعمال العرب للغة . وهنالك شواهد في كلامه لهذا النوع من الاستعمال.

و من كلام له عليه السلاغم في ذكر عمرو بن العاص "عجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَ أَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً، أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيِكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ، ... وَ إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً " (١١)

إذ ورد في النص أسلوباً كلاميا شديداً، و وصفاً تعبيرياً حاداً في صفة شخصية معروفة وهو عمرو بن العاص (١٢) في مفردات النص وتركيبه بقوله : (لِابْنِ النَّابِغَةِ، يزعُم، قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيِكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ، وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً) .

إذ وردت في النص إشارات نفسية متعددة، ومواقف شعورية مختلفة، تنبئ عن طريقة نقد شديدة ؛ فقد أخبر عن عمرو بأنه (ابن النابغة) تعريف كلمة نابغة دلت على شهرتها فهو ليس إتهام بل هو وصف معروف عند العرب لأنه اذا " نبغ الشيء: ظهر و سميّت امّ عمرو النابغة لشهرتها بالفجور و تظاهرها به " (١٣) وهذا نقد ظاهره شديد، لكنه في الوقت نفسه هو الواقع، لأن امر كان معروفاً تأريخياً بين العرب (١٤) وقد أظهر الإمام صفة اختصرت الدلائل على زعم عمرو، وأثبتت زيف الإدعاء .

و انّما كنّى عليه السّلام عنه بامّه حربا على عادة العرب من النّسبة الى الأمّ اذا كانت مشهورة بشرافة او دنائة(١٥) ثم قال : (عجبا، يزعم) من غير ذكر ضمير مثلاً إذا قال (هو) تحقيراً لفعله وشخصه، كما أن كلمة يزعم دلت على إقرار ببطلان من ادعى وأن كلامه غير صحيح، وأن الإمام غير راض عن رأيه وقوله، فكأنه يقول له بأن كاذب، لذا لم يتجاوز النص الحدود الطبيعية للنقد والتواصل والتأثير، بل كان نصاً موضوعياً، يصف من أراد هو وأبوه شراً بالاسلام، وحاربا نبيه، ظلما وعدواناً وتعدياً، لذا عندما وصفه بهذه الصفات، إنما كان وصفا يريد أن يبين واقع الموصوف .

ثم يصفه بأوصاف منها أنه (رجل يقول الباطل، وينطق بالأثم (قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً) ، وفيه صفات المنافقين فهو كاذب مخلف للوعد بخيل خائن بقوله: (إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيِكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ) وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ، راضخ تارك للدين والحق بقوله : (وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً) . مجموعة من الصفات تركزت في بنية النص، واتجهت لتعزيز معنى كشف شخصية الآخر، وذلك بذكر صفاته المعروفة، وميله للباطل، وولعه بالنفاق، فاتجه سياق النص ليكون سياقاً يحمل معاني الرد ومعاقبة المسيئ .

وقد واجه الإمام في أيام خلافته سلوكيات منحرفة كثيرة، كان بالامكان أن تتحول كل منها الى انحراف كبير، لذا اضطر الإمام الى مقابلتها بقوة وصرامة، وقد كشف الإمام بكلامه حقيقة تلك

الأنحرافات والتوجهات المشبوهة التي كان مصدرها شخصيات، بعضها تدعي الايمان والنصرة وبعضها معارضة (١٦) وهذا النص صورة من صور تلك المواجهة مع من يريد أن يحرِّف الحقائق ويتهم أهل الإيمان ويشوه صورة قادة الإسلام باتهامات باطلة ومخادعة .

استعمل الإمام عليه السلام في بنية النص أسلوباً كلاميا يدل على شدة في كلام، وتعبير يفهم منه توجيه قدح ونقد وذم واضح لهذه الشخصية، فقد بدأ بذكر صفة من صفات هذه الشخصية بقوله ابن النابغة؛ فلم يذكر اسمه الصريح انتقاصاً منه، والسؤال المهم الذي ينبغي أن نجد إجابة له هو، لماذا استعمل الامام هذا الأسلوب النقدي الشديد، وكيف وظَّف اللغة لذلك ؟

البنية العميقة رمزية عن مكنون يستحق التأمل والتساؤل والبحث وطول النظر فالرواي في المقامة لا يكتب نصا بريئا أو محايدا، بل هو يثير قضايا ضمنية وتساؤلات فكرية حول محاور متعددة داخل البنية العميقة الواحدة فهو يريد أن يوصل اليك قصداً قد استخلصه للفهم فالبنية العميقة باختصار هي فعل شيء دون التصريح بقول ذلك الفعل (١٧) واستعمال الإمام لهذا النقد الكلامي الواضح فهو نسق مضمر، أو خطاب غير مباشر يفضح فيه إدعاءات باطلة تمس ثوابت الدين والإسلام، ويدل في بنيته الظاهرة وفي بنبته العميقة على ضرورة ردع من يستحق الردع إذا كان المقام يستدعي ذلك، بل إذا توقف عليه نصرة الحق وإضعاف الباطل، فهو جانب تربوي مهم وفعَّال.

وله عليه السلام أيضا كلام قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك، فخفض إليه بصره عليه السلام ثم قال- " وَ مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ، وَ اللَّهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى " (١٨)

فقد ورد في النص مفردات وتراكيب فيها نقد صريح، وردٌ كلامي شديد في جمل ثلاث دل كل منها على هذا المعنى المتقدم من الذم والنقد، فقال له: و ما يدريك ما علي مما لي؛ فقد رماه الإمام بالجهل و هو أقبح الصفات، ثم لعنه من قبل الله و من قبل اللاعنين لأنه يستحق ذلك لقوله الدال على نفاقه و انحرافه، ثم قال له (حائك ابن حائك منافق ابن كافر) ذمه بهذه الصفات أما لأن الحياكة كانت صنعة يتبعها أراذل الناس أو استعارة لنقصان عقله لكون الحياكة مظنة ذلك. (١٩)

وقد بين هويته بأنه منافق و قد كان كما يقول ابن أبي الحديد: كان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام و هو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه.. (٢٠)

وهذه الإشارات الكلامية دلت على اختيارا كلاميا لفضح المنافقين، ورد المعاندين، وكسر شوكة أعداء الإسلام، فاستدعى ذلك أسلوبا شديدا يوازي مكر هؤلاء الفاسقين، ويصدع بالحقيقة التي قد لا يتجرأ احد على ذكرها يوم أحقاق الحق وإعزاز الدين.

المبحث الثاني : اللسانيات النفسية واسلوب نقد الجماعة :

يلجأ مستعملو اللغة الى انتاج كلامٍ يكون بمستوى الظرف أو الحدث، ويعبر عن مقاصد المتكلم لتجعله بينً واضح تارة، أو قابل للاحتمالات ومتعدد التأويلات إن أرادوا ذلك تارة أخرى، ويوجهون نصحهم أو ارشادهم أو مدحهم أو ذمهم من خلال استعمال اللغة . ولهم في ذلك طرائق واساليب.

ومن بين الظواهر اللغوية ظاهرة النقد والذم والتقريع، ومنه الذم الذي تستعمل فيه تعبيرات شديدة التأثير، ومفردات تشع بطاقة الشعور، التي تكون اللغة المستعملة فيها لغة مختلفة، فتوظَّف الأصوات والمفردات والتراكيب لانتاج كلام يحمل كل هذه المعاني، ونجد هذه الظاهرة في نهج البلاغة، إذ تتعدد الاشارات في هذا الجانب من الخطاب النفسي في نهج البلاغة؛ لأن الامام علي عليه السلام هو امير المؤمنين وخليفة المسلمين وهذا يوجب عليه النصيحة لهم في الدين والدنيا، وارشادهم الى مواطن الصلاح لبناء شخصية سوية، ويستعمل التوبيخ والتقريع الذي يستبطن في اثنائهما توجيها ارشادياً الى ضرورة إيجاد منهجية نفسية تقوم على المفهوم الديني الغرض منها التربية والابتعاد عن الأهواء النفسية بما يمكن أن يدفع بها الى منزلق العصيان، لتصبح عرضة للإنهيار النفسي والوجداني والديني . [٢١]

و من خطبة له عليه السلام يحث فيها على الجهاد يصف فيه من تخلَّف وتخاذل بقوله: :

"أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّة... **يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لَا رِجَالَ، حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً، وَ اللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَ أَعْقَبَتْ سَدَماً، قَاتَلَكُمُ اللَّه** " [٢٢] وغيرها من الخطب التي تعالج انحرافات حقيقية عن الدين وعن الأخلاق والقيم، فظاهرهم رجال ولكن أفعالهم ليست فعل رجال،مشبهاً إياهم بتفكير الأطفال بسبب سطحية تفكيرهم وعنادهم، فعقولهم ليست مؤهلة لقرار، ثم يصل الأمر بالدعاء عليهم بقوله : (قاتلكم الله)، كأن طردٌ وإبعادٌ واعلان عن غضب وعدم رضا .

و من هذا الأسلوب النقدي خطبة له عليه السلام في شأن الحكَمين و ذم أهل الشام بقوله :

"**جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ تُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ، وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ وَ يُوَلَّى عَلَيْهِ، وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، وَ لَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ** " [٢٣]

إذ نلحظ استعمال اسلوب كلامي شديد في وصفهم، وعبارات كاشفة عن أحوالهم بقوله : (جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ) وجفاة جمع جافٍ أي هم أعراب أجلاف، والطغام أوغاد الناس، ويقال

للأشرار و اللئام عبيد وإن كانوا أحرارا ظاهراً. و الأقزام بالزاي رذَّال الناس و سفلتهم، و المسموع قزم للذكر و الأنثى (٢٤) وهذا نقد شديد ولاذع لهؤلاء الجماعة، استعملت فيه لغة أشارات الى معانٍ نفسية واضحة للإمام وموقف شعوري صريح أمام تكبرهم وعداوتهم للحق، وقد استعمل اسلوب التنكير في هذه الأوصاف الأربعة للتعريض، والحط من شأنهم، فهم غير معروفين دلالة على أنهم ليسوا أصحاب منزلة وشأن مجهولون، ولا قدر لهم فجاءت الصيغة مختارة لتعبر عن وصفهم، وهذا أسلوب نقدي يشكل وقفة في القدرة على استعمال اللغة الانفعالية، وضبطها لتكون موضوعية منصفة، وبليغة تشع بالتأثير، بعيداً عن لحن القول، ووضاعة الكلمات .

وإنَ عناصرَ البنيةِ الاسلوبيةِ تحملُ الأثرَ النفسي وأداءَهُ، من حيث الصوتِ وعناصرِهِ، ووحداته، والنظمِ ومفرداتِه وجملِه وأساليبِه وظواهرِه، والصورة وأغراضِها ووظائفِها . (٢٥)

ثم يقول عليه السلام : جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، أي من كل ناحية، وَ تُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ أي من فرق مختلطة، ثم وصف جهلهم و بعدهم عن العلم و الدين مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ، أي يعلم الفقه و الأدب وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ أي يعود اعتماد الأفعال الحسنة و الأخلاق الجميلة، وَ يُوَلَّى عَلَيْهِ، أي لا يستحقون أن يولوا أمرا، بل ينبغي أن يحجر عليهم، كما يحجر على الصبي و السفيه لعدم رشده وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ أي يمنع من التصرف (٢٦)

وهذا الاسلوب النقدي الشديد للجماعة، والخطاب الرادع للمخاطبين، والتعبير الذي يحمل معاني الذم والتقريع وعدم الاحترام، يوجه لسانياً بأن المتكلم يختار معبراً عن موقفه النفسي، ومترجما لادراكه ومعرفته، فيستعمل اللغة لذلك الشأن ولهذا الغرض ولا شك في أن الناس يجب ان يتعلموا شبكة معينة من الحقوق والواجبات يلقنها لهم أو يفترضها مجتمعهم ؛ من قبيل مَن عليه واجب، ومن له الحق في فرض واجب أو منح حقوق لأي نوع من الأعمال وما هو الرد المناسب للإخلال بأي واجب ويجب أن يكون هذا جزء رئيس من التعلم الثقافي . (٢٧) اذن الأسلوب أثر ديني تربوي كبير، ورسالة إسلامية عظيمة توجه لمن يستحق النقد والوصف الموضوعي . فقد وصف الله تعالى في القرآن الكريم أتباع الباطل بأوصاف متعددة منها قوله تعالى : (وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ** أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الاعراف : ١٧٦) وقوله: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها **كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً** بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (الجمعة : ٥)، ويصفهم القرآن الكريم بأنهم منافقون ظالمون وجاهلون وفاسقون، وأنعام وقردة وخنازير وغيرها من أوصاف واقعية يستحقونها هدفها الحفاظ على القيم الدينية والاخلاقية والانسانية،

وتزكية النفس وتنقية المجتمع من مظاهر الإنحراف والظلم والتعدي، كل ذلك يتكفل به الخطاب الذي يعد ركيزة أساس لارشاد المجتمع ورعايته وحمايته المكائد الشيطانية.

لذلك استعمله الإمام عليه السلام في هذا المواضع ومواضع أخرة في نهج البلاغة [٢٨]

قد يبدأ تحليل الخطاب النقدي بتحديد جنس الخطاب الذي يمثله النص والى أي مدى يمثله النص والى اي مدى وباية طريقة يتفق النص مع ذلك او لا يتفق وقد ينظر الى درجة تجاوز منتج النص الحدود الطبيعية لهذا الجنس من أجل خلق تاثير معين، وكيف سيقدم محتوى النص ومن اية زاوية سيقدمه منشئ الخطاب . (٢٩)

من المسائل المهمة للبحث في المعرفة الاجتماعية الكيفية التي يتعلم بها الطفل تصورات الحق والواجب وان هذه التصورات فطرية الى حد كبير ان لم تكن فطرية بشكل كامل وهي طريقة في التفكير متخصصة سلكها في الدماغ نظام الموروثات البشرية . (٣٠)

عندما ندرس اللغة نفسها ينبغي أن نفعل ذلك من زاويتين، الأولى تتعلق بالبنية الظاهرة، أما الزاوية الثانية فهي تتعلق بالوظيفة أو الوظائف التي تؤديها اللغة في المجتمعات البشرية وبعلاقة اللغة بالمجتمع كيف نؤثر فيه وكيف يؤثر فيها ؟ وما يطرأ على كل منها من تغيير وتطور نتيجة ذلك . (٣١)

قاعدة التودد ومقتضاها هو لتظهر الود للمخاطب وقاعدة التودد توجب على المتكلم أن يعامل المخاطب معاملة الند للند ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية لمرتبته، ومتى قام المتكلم بشرط المعاملة بالمثل مستعملا الأدوات والاساليب والصيغ التي تقدوي علاقات التضامن والصداقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية واللقب أنس به المخاطب أنساً واطمأن اطمئناناً الى ما يبديه المتكلم من ثقة وعناية . (٣٢)

النتائج :

توصل البحث الى جملة من النتائج منها :

- ورد في الخطاب العلوي اسلوباً نقديا تناول افراداً أو جماعات، وكان مفعماً بمواقف نفسية مليئة بمعاني الرفض والطرد والتحذير وعدم الرضا .

- استعمل الإمام هذا الأسلوب لردع المخالفين للقيم الدينية والأخلاقية والانسانية، فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنزلته توجب عليه التوجيه وكشف الحقائق والمنحرفين عن منهج الإسلام .

- استعمل الإمام هذا الأسلوب للحفاظ على الدين، فان اسلوب النقد الشديد، والنعوت الشديدة القاسية ، لم يكن دفاعاً عن مصلحة شخصية، أو دفاعاً عن ضرر شخصي، بل كان في مواضع الذود عن الدين وتحصين المؤمنين، وكشف زيغ أهل الأباطيل وارباب التضليل .

- الهدف من هذا النقد تقويم سلوك المخاطبه، وتربية النفوس والأشخاص فهو أسلوب قرآني ونبوي، هدفه تهذيب النفس وتربيتها على الفضائل .

- لقد استعمل الإمام هذا الاسلوب النقدي، وهذا التعبير الحاد في بعض المواضع لاستقباح صفات وشخصيات وأفكار وسلوكيات ودعوة المتلقي لاستقباحها،

الهوامش :

[١١] ظ: الألسنية , نسيم عون :١٩٠

٢ ظ:علم الأسلوب , صلاح فضل: ٩٧ .

٣ ظ: علم الأسلوب , محمد كريم الكواز : ٩٨

٤ ظ: لسان العرب ؛ ج٣ ؛ ص٤٢٥

٥ تاج العروس ؛ ج٥ ؛ ص٢٨٤

٦ - معجم الأفعال المتداولة, محمد الحيدري ؛ ص٧٦٦

٧ظ: الدلالة والنحو , صلاح الدين صالح حسنين : ١٨

٨ الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم , محمد جعفر العارضي : ٧

٩ ظ: علم اللغة النفسي , عبد العزيز العصيلي : ١٤

١٠ ظ: أسس اللسانيات النفسية ,ايفام فيرناندیز , وهيلين سميث :٩٧

١١ شرحنهجالبلاغة , ابنأبيالحديد، ج ٦ ، صفحة ٢٨٠

١٢ أبوه العاص بن وائل أحد المستهزءين برسول الله صلى الله عليه وآله - و المكاشفين له بالعداوة و الأذى- و فيه و في أصحابه أنزل قوله تعالى- إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ- . و يلقب العاص بن وائل في الإسلام بالأبتر- لأنه قال لقريش سيموت هذا الأبتر غدا- فينقطع ذكره يعني رسول الله ص- لأنه لم يكن له ص ولد ذكر يعقب منه- فأنزل الله سبحانه إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ- . و كان عمرو أحد من يؤذي رسول الله ص بمكة- و يشتمه و يضع في طريقه الحجارة- لأنه كان ص يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة- و كان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها- و هو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله ص- لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة- فروعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرماح- حتى أجهضت جنينا ميتا من أبي العاص بن الربيع بعلها- فلما بلغ ذلك رسول الله ص- نال منه و شق عليه مشقة شديدة و لعنهم- شرحنهجالبلاغة , ابنأبيالحديد: ٦ /٢٨٢

١٣ شرحنهجالبلاغة, ابنميثم : ٢ / ٢٧٠

١٤ فقد كانت النابغة أم عمرو بن العاص- أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة, فكانت بغيا ثم أعتقها- فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب, و أمية بن خلف الجمحي و هشام بن المغيرة المخزومي و أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل

السهمي في طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه- فقالت هو من العاص بن وائل و ذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا . ظ: شرح نهج البلاغة ابن‌أبي‌الحديد: ٦ / ٢٨٣

١٥ الدرةالنجفية، : ١٣٠

١٦ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة , نايف خرما : ١٦٩-١٧٠ , عالم المعرفة , سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت , العدد ٩

١٧ ظ: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى , بور ريكور , ترجمة سعيد الغانمي: ٤١ , الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ط١, ٢٠٠٣م

١٨ شرح نهج البلاغة , ابن أبي الحديد، ١ / ٢٩١

١٩ ظ: شرح‌نهج‌البلاغة , السيدعباس‌الموسوي، ١ / ١٧٨

٢٠ ظ: شرح‌نهج‌البلاغة , السيدعباس‌الموسوي، ١ / ١٧٨

٢١ ظ: الخطاب في نهج البلاغة بنيته وانماطه ومستوياته دراسة تحليلية , حسين العمري : ٢٤٢ , دار الكتب العلمية بيروت لبنان , ط١ –لبنان ٢٠١٠م

٢٢ شرح‌نهج‌البلاغة(ابن‌أبي‌الحديد)، ج ٢ ، صفحة ٧٤

٢٣ شرح‌نهج‌البلاغة(ابن‌أبي‌الحديد)، ج ١٣ ، صفحة ٣٠٩

٢٤ شرح‌نهج‌البلاغة(ابن‌أبي‌الحديد)، ج ١٣ ، صفحة٣٠٩- ٣١٠

٢٥ ظ: النسق القرآني , محمد ديب الجاجي : ٦٧٣

٢٦ ظ: شرح نهج البلاغة ابن‌أبي‌الحديد، ج ١٣ ، صفحة ٣١٠

٢٧ ظ: اللغة والوعي والثقافة ابحاث في البنية الذهنية راي جاكندوف : ٥٧٢, ترجمة وتقديم محمد غاليم , مراجعة محمد الرحالي , دار الكتب الجديدة المتحدة الطبعة الاولى ٢٠٢٠م

٢٨ كقولِه عليه السلامُ " وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ, سُفَهَاءُ الْأَحْلَام " شرح نهج البلاغة ,ابن أبي الحديد : ٢ / ٢٦٥ وقوله : " يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا" شرح نهج البلاغة ,ابن أبي الحديد : ٧/ ٧١

٢٩ ظ: تحليل الخطاب , براين بالتريدج , ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله الفهد , ٢٤٤ , الرياض ١٤٣٩ – ٢٠١٨م دار جامعة الملك سعود للنشر

٣٠ ظ: بحث دراسة طبيعة السب واللعن عند الإمام علي ع في نهج البلاغة , اكبر توحيدلو : ٧١ , مجلة دراسات حديثة في نهج البلاغة , السنة الأولى , العدد الأول , خريف ١٤٣٩ق- ٦٣-٧٣ . ٢٠١٧م . مجلة فصلية محكمة نصف سنوية .

٣١ ظ: اللغة والوعي والثقافة ابحاث في البنية الذهنية راي جاكندوف : ٥٧٣, ترجمة وتقديم محمد غاليم , مراجعة محمد الرحالي , دار الكتب الجديدة المتحدة الطبعة الاولى ٢٠٢٠م

٣٢ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي , طه عبد الرحمن : ٢٤١ , المركز الثقافي العربي بيروت , ط١ , ١٩٩٨م ,

المصادر :

- القرآن الكريم

- أسس اللسانيات النفسية ,ايفام فيرناندیز , هيلين سميث كيرنز , ترجمة عقيل الشمري ,جداول للنشر والترجمة, بيروت لبنان , ط١, حزيران يونيو ٢٠١٨م .

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة , نايف خرما : – , عالم المعرفة , سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت , العدد ٩ .

- الالسنية محاضرات في علم الدلالة , نسيم عون , دار الفارابي , بيروت, ط١, ٢٠٠٥م .

- بحث دراسة طبيعة السب واللعن عند الإمام علي ع في نهج البلاغة , اكبر توحيدلو, مجلة دراسات حديثة في نهج البلاغة , السنة الأولى , العدد الأول , خريف ١٤٣٩ق- ٦٣-٧٣ . ٢٠١٧م . مجلة فصلية محكمة نصف سنوية .

- تاج العروس من جواهر القاموس, محب الدين ابي فيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الواسطي الحنفي ، دراسة وتحقيق علي شيري, دار الفكر , بيروت , ط١, , ١٤١٤ هـ .

- تحليل الخطاب , براين بالتريدج , ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله الفهد , , الرياض ١٤٣٩ – ٢٠١٨م دار جامعة الملك سعود للنشر

- الخطاب في نهج البلاغة بنيته وانماطه ومستوياته دراسة تحليلية , حسين العمري , دار الكتب العلمية بيروت لبنان , ط١ –لبنان ٢٠١٠م

- الدرة النجفية في شرح نهج البلاغة , إبراهيم بن حسين الخوئي , مطبعة عبد الصمد بن احمد التبريزي , ايران ١٣٢٥هـ . طبعة حجرية .

- الدلالة النفسية للألفاظ في القران الكريم , محمد جعفر محيسن العارضي , العراق – جامعة القادسية – كلية الآداب- ١٤٢٣هت- ٢٠٠٢م , اطروحة .

- الدلالة والنحو , صلاح الدين صالح حسنين , توزيع مكتبة الآداب ط١ .

- شرح نهج البلاغة , عز الدين ابو حامد ابن ابي الحديد , تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم , الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة , قم, ط١ , ١٣٧٨ .

- شرح نهج البلاغة , عباس علي الموسوي , دار الرسول الاكرم –دار المحجة البيضاء , بيروت , ط١ , ١٤١٨هـ .

- شرح نهج البلاغة , كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني , عني عدة من الافاضل , الناشر دفتر نشر الكتاب , ط٢, ١٤٠٤هـ .

- علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات , محمد كريم الكواز , منشورات جامعة السابع من ابريل , الجماهيرية العربية الليبية – بنغازي , ط١, ١٤٢٦ هـ.

- علم اللغة النفسي , عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي , المملكة العربية السعودية , وزارة التعليم العالي , جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية , عمادة البحث العلمي , ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م .

- لسان العرب , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري , دار صادر , بيروت ط٣, , ١٤١٤ هـ.

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي , طه عبد الرحمن , المركز الثقافي العربي بيروت , ط١ , ١٩٩٨م ,

- اللغة والوعي والثقافة ابحاث في البنية الذهنية راي جاكندوف , ترجمة وتقديم محمد غاليم , مراجعة محمد الرحالي , دار الكتب الجديدة المتحدة الطبعة الاولى ٢٠٢٠م

- معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها, محمد الحيدري, الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية مكان الطبع: قم تاريخ الطبع: ١٤٢٣ هـ, الطبعة: الأولى

- النسق القرآني دراسة اسلوبية , محمد ديب الجاجي , دار القبلة للثقافة الاسلامية , مؤسسة علوم القرآن , ط١ , ١٤٣١هـ–٢٠١٠م .

- نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى , بور ريكور , ترجمة سعيد الغانمي, الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ط١, ٢٠٠٣م